

حكم الشفاعة في الفقه الإسلامي

د. علي محمد عبد الله الكنزري (*)

• المقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد،،،

فمن خلال قراءتي وإطلاعي على الكتب ورد إلى خاطري موضوع الشفاعة وهي ما يسمى اليوم بلغتنا (الواسطة)، فقلت في نفسي هل دائماً الواسطة سيئة؟ ومتى تكون محرمة ومتى تكون مباحة بل ومتى تكون مستحبة، ثم عقدت العزم على الكتابة في هذا الموضوع، واستعنت بكتب التفسير والحديث والآداب، وشرعت في الكتابة إلى أن سهل الله بفضله وحده أن يخرج هذا البحث بهذه الصورة، والتي أرجو أن أكون قد وفقت في تسليط الضوء على تلك القضية، وسميت البحث: حكم الشفاعة في الفقه الإسلامي، وقد قسمته إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقائمة المراجع.

- بينت المقدمة أهمية الموضوعه وخطته
- تكلمت في الفصل الأول عن تعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً وما يشتهب معها وأنواعها في مبحثين.
- أما الفصل الثاني فقد خصصته للكلام عن أحكام الشفاعة وقسمته إلى خمسة مباحث تناولت فيها حكمها، متى تكون مستحبة ومتى تكون محرمة، ومتى تكون جائزة، وما حكم الهدية على الشفاعة، وما حكم الشفاعة لتولي المناصب.

(*) مدرس بقسم الفقه المقارن والسياسة الشرعية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت.

- وأما الفصل الثالث فقد تطرقت فيه لآداب الشفاعة ومجالاتها وثمراتها في ثلاثة مباحث.

- وأما الفصل الرابع والأخير فقد حاولت أن أقدم علاجاً وطرقاً مقترحة للحد من مشكلة الشفاعة المحرمة.

ثم الخاتمة وقد ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات في هذا البحث.

وذلك على النحو الآتي:

• مخطط البحث:

* المقدمة

* الفصل الأول: تعريف الشفاعة وأنواعها:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الشفاعة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشفاعة لغة.

المطلب الثاني: تعريف الشفاعة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين الشفاعة وما يشبه معها.

المبحث الثاني: أنواع الشفاعة

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: باعتبار من تطلب منه الشفاعة.

المطلب الثاني: من حيث الحل والحرمة.

المطلب الثالث: من حيث المكان.

* الفصل الثاني: حكم الشفاعة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الشفاعة المستحبة.

المبحث الثاني: الشفاعة المحرمة.

المبحث الثالث: الهدية على الشفاعة.

المبحث الرابع: الشفاعة لتولي المناصب.

* الفصل الثالث: الشفاعة (آدابها ومجالاتها وثمراتها)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آداب الشفاعة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آداب الشافع

المطلب الثاني: آداب المشفوع له.

المطلب الثالث: آداب المشفوع عنده.

المبحث الثاني: مجالات الشفاعة.

المبحث الثالث: ثمرات الشفاعة.

* الفصل الرابع: الطرق المقترحة للحد من مشكلة الشفاعة المحرمة.

* الخاتمة .. وفيها بيان النتائج وأخيرًا فهرس المراجع.

• الفصل الأول: تعريف الشفاعة وأنواعها:

وفيهِ مبحثان:

• المبحث الأول: تعريف الشفاعة:

وفيهِ ثلاثة مطالب:

• المطلب الأول: تعريف الشفاعة لغة:

وردت كلمة الشفاعة في اللغة بعدة معانٍ؛ وذلك كما يلي:

١- خلاف الوتر: وهو الزوج، تقول كان وترا فشفعته شفعا: كان وترا فصيره زوجا.

٢- الطالب: استشفع بفلان على فلان: وتشفع له إليه وشفعه فيه، استشفعه: طلب منه الشفاعة .

٣- كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره.

٤- شفّع إليه: في معنى طلب إليه، والشافع الطالب لغيره يتشفّع به إلى المطلوب، ويقال: تشفعت بفلان فشفعني فيه.

٥- استشفعت إلى فلان: أي سألته أن يشفع لي إليه.

٦- فلان يعاديني وله شافع: أي معين يعينه على عداوتي.

٧- تشفع إليه في فلان: طلب الشفاعة.

٨- الشفع: ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصر له وسائله عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى.

٩- الشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذمام.

١٠- من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعا له أو شفيعا في فعل الخير والشر فعاونه أو شاركه في نفعه وضرره.

١١- وشفع فلان لفلان أي: إذا جاء ثانية ملتصقا بطلبه ومعينا له.

ولا تستعمل لغة إلا بضم الناجي إلى نفسه من هو خائف من سطوة الغير.

ونخلص من ذلك أن معنى الشفاعة لغة هو: أن يطلب صاحب الحاجة من شخص أن ينضم إليه ويعينه على قضائها عند الشافع في خير أو شر^(١).

• المطلب الثاني: الشفاعة اصطلاحا:

تنوعت تعاريف العلماء للشفاعة فقد أوردوا أكثر من تعريف، ونلاحظ أن المعنى الاصطلاحي للشفاعة يمكن أن ينقسم إلى عدة أقسام وذلك كما يلي:

١- يقصد بالشفاعة التنازل عن حق وجب، كجناية أو ذنب أو جريمة

وفقا للآتي:

أ- هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم^(٢).

ب- هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه^(٣).

(١) لسان العرب ١٨٣/٨ وما بعدها. تاج العروس ٢٤٦/١١ وما بعدها. معجم

مقاييس اللغة ٣ / ٢٠١.

(٢) النهاية ٤٨٥١٢.

(٣) التعريفات/١٢٧

- ج- هي السؤال في التجاوز عن الذنوب ممن وقع منه جناية^(١).
 د- هي التماس امرئ من آخر التنازل عن حق وجب على المشفوع له^(٢).

ويلاحظ على هذه التعريفات أنها:

قصرت معنى الشفاعة على بعض صورها وهي الشفاعة للتنازل عن حق وجب في جناية أو ذنب أو جريمة، مع أن للشفاعة معنى واسع كبير.
 ٢- طلب الإعانة (مطلقاً):

- أ- انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه^(٣).
 ب- الانضمام إلى آخر ناصراً له وأكثر ما يستخدم في انضمام من هو أعلى حرمة إلى من هو أدنى^(٤).
 ج- وصلة بين الشفيع والمشفوع عنده^(٥).
 ويلاحظ على هذه التعريفات أن:

هذا المعنى عام ولم يحدد هدف الإعانة هل هي جلب نفع أو دفع ضرر، ولم يحدد هل هذا النفع في الأمور الجائزة وغير الجائزة، أي لم يمنع الشفاعة في الأمور التي لا تجوز.

٣- التوسط في منفعة دنيوية أو أخروية وكذلك الخلاص من المضرة كذلك^(٦).

(١) التوقيف ٤٣٢.

(٢) معجم لغة الفقهاء.

(٣) دليل الفالحين ٤٩/٣.

(٤) قواعد الفقه: ٣٤٠.

(٥) التوقيف ٤٣٢.

(٦) الفتوحات الإلهية ٩٨/٢.

ويلاحظ على هذا التعريف:

أنه جمع الشفاعة ذات النفع الدنيوي للأفراد خاصة كل حسب حاجته، إضافة إلى النفع الأخروي وهو ما يعم نفعه عامة المسلمين، إضافة أن التعريف أضاف دفع الضرر والخلص منه إذا كانت منفعة دنيوية خاصة أو أخروية عامة.

٤- سؤال فعل الخير وترك الضرر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة (التضرع):

أ- سؤال فعل الخير وترك الضرر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة^(١)

ب- سؤال فعل الخير وترك الضرر عن الغير لأجل الغير على سبيل التضرع^(٢).

ويلاحظ على هذين التعريفين أنهما:

شمالاً صور الشفاعة من فعل الخير وترك الضرر ولكن يؤخذ عليهما أنهما قيداه على سبيل الضراعة وهذا لا يتحقق إذا كان الشخص المتوسط (الشافع) أدنى من المشفوع إليه لكن قد يحدث أن يكون الشافع أعلى رتبة من المشفوع إليه فلا مجال للضراعة إنما تطلب منه بدونها.

٥- طلب قضاء الحاجة بالاستجعال: قال الرازي: أن يستوهب أحد لأحد شيئاً ويطلب له حاجة^(٣).

(١) الكليات ٥٣٦.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ٧٦٢/٢.

(٣) دليل الفالحين ٤٩/٣.

ويلاحظ على هذا التعريف أن:

بعض الشافعية أجاز أن يعطي الشخص المتوسط في الشفاعة جعلاً وهو إما مبلغاً من المال أو منفعة وغيرها جزاء ما قام به من تحركه في الشفاعة وقد خالفهم جمهور الفقهاء في عدم جواز إعطاء الجعل للوسيط كما سوف يأتي عند الكلام على الهدية على الشفاعة.

التعريف المختار:

هو التعريف الثالث وسبب الاختيار:

١- أن التعريف جامع لصور الشفاعة ذات النفع الدنيوي والأخروي أي ذات النفع الخاص والعام وكذلك فيها دفع الضرر الدنيوي والأخروي.

٢- يدخل في النفع الدنيوي: التنازل عن حق وجب في جنابة أو ذنب أو جريمة، ويشمل كذلك طلب الإعانة المطلقة.

٣- أما النفع الأخروي: وذلك كبناء مسجد أو إقامة حلقة تحفيظ كتاب الله عز وجل أو حفر بئر أو بناء مدرسة أو مستشفى وما إلى ذلك من وجوه البر والخير.

٤- أنه ذكر الشفاعة ولم يقيد بها بالضراعة وإنما أطلقها فلا تستخدم إلا مع صاحب المرتبة الأعلى في الشفاعة.

﴿ اختلف المعنى الاصطلاحي للشفاعة عند أهل السنة والجماعة عنه عند المعتزلة^(١) والخلاف بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة في الشفاعة في موضعين:

(١) الكليات ٥٣٦.

١- معنى الشفاعة: عند أهل السنة والجماعة: هو طلب العفو من الذي وقع لجناية في حقه، أما عند المعتزلة فمعناها: طلب زيادة الدرجات للمشفوع له.

٢- المشفوع له: عند أهل السنة والجماعة: أن المشفوع له صاحب الكبيرة، أما عند المعتزلة فهو: مؤمن لم يجر عليه كبيرة أو جرت وتاب عنها.

• المطلب الثالث: الفرق بين الشفاعة وما يشبهه معها:

١- الفرق بين الشفاعة والرشوة:

الرشوة: ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل.

وجه الشبه بين الشفاعة والرشوة:

أن الشفاعة المحرمة تشبه الرشوة حيث أن كلا منهما فيه إبطال لحق أو إحقاق لباطل، وكذلك إذا اشترط الشفيع منفعة من المشفوع له فهي حرام كالرشوة.

وتختلف الشفاعة عن الرشوة:

أن الشفيع يقضي حوائج المشفوع له باستخدام وجاهته ومكانته ومركزه الاجتماعي دون اشتراط مقابل، أما الرشوة فيشترط فيها المقابل.

٢- الفرق بين الشفاعة والمصانعة:

المصانعة: أن تصنع لغيرك شيئاً ليضع لك آخر مقابله.

وجه الشبه بين الشفاعة والمصانعة:

أن الشفيع إن اشترط المقابل لشفاعته فتصبح الشفاعة كالمصانعة وإلا

فلا، خاصة أن أغلب أصحاب الشفاعة لا يطلبون المقابل بل الأجر من الله تعالى.

٣- الفرق بين الشفاعة المحرمة والسحت:

السحت: الحرام الذي لا يحل كسبه.

وجه الشبه بين الشفاعة والسحت:

أن الشفيع إن اشترط المقابل لشفاعته فهذا يعتبر سحتاً لا يحل أخذه وكذلك إذا كانت شفاعته لارتكاب ظلم أو حرام فهي كالسحت في الحرمة.

٤- ومن الألفاظ المرادفة للشفاعة:

أ- الإغاثة: وهي التفريج عن المكروب ونصرته في حال الشدة، فكل من الشفاعة والإغاثة معاونة للطالب.

ب- التوسل: وهو التقرب، وكلاً من الشفاعة والتوسل فيه تقرب من الشفيع لتقديم العون.

• المبحث الثاني: أنواع الشفاعة:

وفيه ثلاثة مطالب:

• المطلب الأول: باعتبار من تطلب منه الشفاعة:

تنقسم الشفاعة باعتبار من تطلب منه الشفاعة إلى قسمين:

١- إلى الله:

وتكون الشفاعة بمعنى الدعاء للمشفوع له، كما جاء في الحديث: " من دعا لأخيه في ظهر الغيب قال الملك الموكل به: ولك بمثل "(١).

(١) رواه مسلم، انظر دليل الصالحين ٥٠/٣.

٢ - إلى الناس:

وهي كلام الشفيع في حاجة يطلبها لغيره إلى من يستطيع قضاءها كالملك مثلاً.

• المطلب الثاني: باعتبار الحل والحرمة:

تنقسم الشفاعة من حيث الحل والحرمة إلى قسمين

١ - الشفاعة الحسنة:

وهي أن يشفع الشفيع لإزالة الضرر أو رفع مظلمة عن مظلوم أو جر منفعة إلى مستحق ليس في جرها ضرر ولا ضرار وهذه لا شك مرغوب فيها ومأمور بها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، وللشفيع نصيب في أجرها وثوابها، ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾^(٢).

٢ - شفاعة سيئة:

وهي أن يشفع في إسقاط حد بعد بلوغه للسلطان أو هضم حق أو إعطائه لغير مستحق وهو منهى عنه لأنه تعاون على الإثم والعدوان ﴿يَا أَيُّهَا

(١) المائدة ٢.

(٢) النساء ٨٥.

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْجَأُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾.

وللشفيع كفل من الإثم ﴿من يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ (٢).

• المطلب الثالث: باعتبار المكان:

تتقسم الشفاعة من حيث مكانها إلى قسمين:

أ- الشفاعة في الآخرة:

يعطيها الله بإذنه لمن شاء من عباده كأنبياؤه ورسله وملائكته وعباده الصالحين.

ب- الشفاعة في الدنيا: وهي ثلاثة أنواع:

١- الشفاعة في الحد: فإذا كانت في حد من حدود الله قبل بلوغه الإمام فلا بأس بذلك أما إذا بلغت الإمام فتحرم اتفاقاً.

٢- الشفاعة في التعازير: تجوز الشفاعة فيها سواء بلغت الحاكم أم لا.

٣- الشفاعة إلى ولاية الأمور: إن كانت في حاجة المسلمين فهي مستحبة إن لم تكن واجبة.

(١) المائدة ٢ .

(٢) النساء ٨٥ .

• الفصل الثاني: أحكام الشفاعة:

وفيه خمسة مباحث:

• المبحث الأول: الشفاعة المستحبة:

وفيه ثلاثة مطالب:

الشفاعة مستحبة في الجملة خاصة أن فيها قضاء حوائج المسلمين المندوب إليها شرعا ولذا لا بد من استعراض ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن أفعال صحابته الكرام ما يدعو إلى السعي لقضاء حاجات المسلمين وذلك في المطالب التالية:

• المطلب الأول: قضاء حاجات المسلمين في القرآن الكريم:

وردت كثير من الآيات تحض على فعل الخير وقضاء حاجات المسلمين وذلك كما يلي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

وجه الاستدلال: أن قضاء حوائج المسلمين من فعل الخير الذي أمر به الله عز وجل ورتب عليه الفوز والفلاح في الآخرة.

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ النَّبِيِّ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

(١) الحج ٧٧.

(٢) المائدة ٢.

وجه الاستدلال: أن قضاء حوائج المسلمين من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به عباده أن يتعاونوا لتحصيله وتحقيقه.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

٢- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)

٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٣)

وجه الاستدلال: لا شك أن قيام الشافع بالشفاعة نوع من الإحسان للمشفوع له وقضاء لحاجته وقد أمر الله عباده بأن يحسن بعضهم لبعض وأن من امتثل هذا الأمر فقد استحق محبة الله عز وجل وكفى بها شرفاً وفخراً إضافة إلى أنه في محبة الله عز وجل وحفظه ورعايته فأى فضل أكبر من هذا؟!.

٤- ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا﴾^(٤).

وجه الاستدلال: أن من شفع شفاعته تجوز في الدين فإنه يؤجر ويثاب عليها وكان فيه ثواب فعله.

(١) البقرة ١٩٥.

(٢) آل عمران ١٣٤.

(٣) النحل ١٢٨.

(٤) النساء ٨٥.

قال مجاهد و الحسن وابن زيد: هذه الآيات في شفاعات الناس في حوائجهم^(١).

٥- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢)

وجه الاستدلال: ذم الله من كلام الناس الكثير ووصفه بعدم الخيرية واستثنى من أمر بصدقة من مال أو علم أو أي فضل كان كالجاء مثلاً أو أمر بمعروف وهو الإحسان والطاعة أو أمر بالإصلاح بين المتنازعين والشفاعة داخلة بالصدقة بالجاء وبالمعروف وتدخل في بعض صور الإصلاح بين المتنازعين.

٦- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٣)

وجه الاستدلال: أن الله سبحانه وتعالى توعّد بالإحسان لمن يحسن في عمله، والشفاعة من الإحسان وسوف يكافئ الله عز وجل الشافع بإحسانه وكرمه.

• المطلب الثاني: من السنة النبوية:

١- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: " اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما أحب "^(٤)، المعنى: اشفعوا كي تؤجروا، أي: إذا عرض المحتاج علي

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٩/٥.

(٢) النساء ١١٤.

(٣) الرحمن ٦٠.

(٤) رواه الشيخان واللفظ لمسلم، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٧٧.

حاجته فاشفعوا له إلي فإنكم إن شفعتم حصل لكم الأجر سواء قبلت شفاعتكم أو لم تقبل ويجري الله على لسان نبيه ما شاء أي من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها أي إن قضيتها أو لم أقضها فهو بتقدير الله تعالى وقضائه، وهذا من مكارم أخلاقه ﷺ ليصلوا جناح السائل وطالب الحاجة وهذا تخلق بأخلاق الله تعالى حيث يقول لنبيه ﷺ اشفع تشفع، وإذا أمر عليه الصلاة والسلام بالشفاعة عنده مع علمه بأنه مستغن عنها شافعاً من نفسه وباعثاً من جوده لأنه كان أجود الناس كما في الصحيحين، فالشفاعة الحسنة عند غيره ممن يحتاج إلى تحريك داعية إلى طريق الخير متأكدة بطريق الأولى.

ويؤخذ من الحديث:

أنه عليه الصلاة والسلام يحب توسل الناس به الله تعالى مطلقاً في زمن حياته الدنيوية وفي البرزخ وفي يوم القيامة لأن النبي ﷺ حض على شفاعة بعضهم البعض ووعده عليها بالأجر وقضاء الله على لسان نبيه ما شاء مما سأله السائل فالتشفع به هو ﷺ أولى بالجواز والندب وثبوت الأجر وقضاء الحوائج لأن جاهه عند الله عظيم كخلقه، وله المقام المحمود والله تعالى أكرم مسئول.

٢- عن علي بن أبي طالب ؓ أن رسول الله ﷺ قال لأسماء: " لا تشفع في حد، وكان إذا شفع شفعه (أي: قبل شفاعته) (١).

وجه الدلالة: نهيه ﷺ لأسماء ؓ عن الشفاعة في الحدود يفهم منه جوازها في غيرها، وقبوله ﷺ شفاعته دليل على جوازها.

٣- عن جابر ؓ قال: أصيب عبد الله (أي: والده) وترك عيالاً فطلبت

(١) رواه ابن سعد.

إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضاً من دينه فأبوا فأتيت النبي ﷺ فاستشفعت به عليهم فأبوا، فقال: صنف تمر كل شيء منه على حدثه عذق ابن زيد على حدة واللين على حدة والعجوة على حدة ثم أحضرهم حتى آتيتك ففعلت ثم جاء عليه السلام فقعده عليه فكال لكل رجل حتى استوفى وبقي التمر كما هو كأنه لم يمس^(١)

وجه الدلالة: مجيء جابر ؓ إليه ﷺ للاستشفاع وقبوله لذلك واستشفاعه دليل على جوازها.

٤- روى الجماعة إلا الترمذي عن كعب مالك ؓ (أنه تقاضى كعب بن أبي حدرد ؓ دينا كان له عليه في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى: يا كعب فقال: لبيك يا رسول الله قال: ضع من دينك هذا وأوماً إليه أي الشطر قال قد فعلت يا رسول الله قال: قم فاقضه).

وجه الدلالة: توسطه ﷺ بين المتخاصمين الدائن ليضع والمدين ليسدد دليل على مشروعية الشفاعة.

٥- حديث بريرة وزوجها - رضي الله عنهما - قال لها النبي ﷺ لو راجعتيه، قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا شافع، قالت: لا حاجة لي فيه^(٢).

وجه الاستدلال: سعي النبي ﷺ بالشفاعة للإصلاح بين الأزواج.

٦- وقد اتفق الشيخان فيما يرويه ابن عمر - رضي الله عنهما - أن

(١) رواه البخاري.

(٢) البخاري كتاب الطلاق: ٣٥٩١٩ - ٣٦٠.

رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة" (١).

٧ - وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: "من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (٢).

وجه الاستدلال من الحديثين: أن النبي ﷺ حث على قضاء حوائج الناس ورغب في ذلك والشفاعة صورة من صور قضاء الحاجات وتنفيس الكربات.

٨ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد أتعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم، فقد عرض تلك النعمة للزوال" (٣).

وجه الاستدلال: أن القيام بالشفاعة ممن هو من أهلها من أسباب دوام النعم وأن التفريط في ذلك مدعاة إلى زوالها.

٩ - عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "من

(١) متفق عليه.

(٢) بلفظ الترمذي.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد.

كان وصلة خير لأخيه إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام^(١)

وجه الاستدلال: أن أصحاب الشفاعة الذين يفزع الناس إليهم عند حوائجهم يكونون في مأمن من عذاب الله تعالى يوم القيامة حيث يخاف الناس؛ جزاء لهم على حسن صنيعهم.

١٠ - عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل"^(٢)، وفي رواية لمسلم أيضاً: "فلينفعه".

١١ - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه ديناً أو يطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهاى له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل"^(٣).

١٢ - وقال ﷺ في فضل صنائع المعروف: "صنائع المعروف تقي

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والخرائطي وابن عساكر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا وحسنه الألباني في الصحيحة.

مصارع السوء ... إلى أن قال: "وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة" (١).

وجه الاستدلال من الحديثين: أن النبي ﷺ دعا إلى القيام بما ينفع الناس بقدر المستطاع ومن ذلك الشفاعة.

١٣ - عن جابر ؓ أن رسول الله ﷺ قال: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ..." (٢).

وجه الاستدلال: أن الشفاعة الحسنة هي من جملة حسن خلق المسلم وكمال إيمانه لقوله ﷺ فيما رواه عن أنس - رضي الله عنه -: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه من الخير" (٣).

١٤ - عن النعمان بن بشير ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (٤).

وجه الاستدلال: أن الشفاعة سبيل لتحقيق المودة والتراحم بين المسلمين

• المطلب الثالث: الآثار:

١- وعن معاوية بن أبي سفيان ؓ قال: "أن الرجل ليسألني الشيء فأمنعه حتى تشفعوا فتؤجروا، وإن رسول الله ﷺ قال: "اشفعوا تؤجروا".

(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني.

(٢) رواه الترمذي وحسنه.

(٣) رواه النسائي.

(٤) متفق عليه وهذا لفظ مسلم.

٢- روى الدارقطني عن الزبير رضي الله عنه مرفوعاً قال: (اشفعوا ما لم يصل إلى الوالي...) .

وجه الدلالة من الأثرين: أمره بالشفاعة بالحدود قبل وصولها إلى الوالي دليل على جوازها حيث لا معصية لله في ذلك.

٣- قال ابن المبارك - رحمه الله - في تفسير حسن الخلق: (هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى).

٤- قال ابن الجوزي - رحمه الله - كان هارون الرقي قد عاهد الله أن لا يسأله كتاب شفاعة إلا فعل فجاءه رجل فأخبره أن ابنه قد أسر بالروم وسأله أن يكتب إلى ملك الروم في إطلاقه فقال له: ويحك من أين يعرفني وإذا سألت عني قيل هو مسلم فكيف يقضي حقي؟ فقال له السائل: أذكر العهد مع الله تعالى فكتب له إلى ملك الروم فلما قرأ له الكتاب قال من هذا الذي شفّع إلينا؟ قيل هذا رجل قد عاهد الله لا يسأل كتاب شفاعة إلا كتبه إلى أي من كان، فقال ملك الروم: هذا حقيق بالإسعاف أطلقوا أسيره واكتبوا جواب كتابه وقولوا: أكتب بكل حاجة تعرض فإننا نشفعك فيها^(١).

٥- وجاء رجل إلى الحسن بن سهل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاء زكاة كما أن للمال زكاة؟ وفي لفظ ونحن نرى كتب الشفاعات زكاة مروءاتنا^(٢).

(١) الآداب الشرعية ١٨٠/٢.

(٢) الآداب الشرعية ١٧٦/٢.

• المبحث الثاني: الشفاعة المحرمة وفيه أربعة مطالب:

• المطلب الأول: الوساطة في نظير رشوة أو عرض من الدنيا:

الرشوة محرمة بالأصل لقوله ﷺ: "لعن الله الراشي والمرتشى"، فإذا افترنت بالشفاعة فإن الشفاعة تكون محرمة لاقترانها بمحرم فقد نهى النبي ﷺ عن بذل الرشوة وعن أخذها فيجب على الشافع أن يبتغي وجه الله وألا يطلب مالاً أو منفعة نظير شفاعته، وقد تبذل الرشوة كجعل من مال مثلاً أو قد تبذل في صورة هدية أو ما شابه ذلك، ولا يغير ذلك من الحكم فالعبرة بالقصد والهدف ولا التفات للمسميات، فلينتبه لذلك وبالرغم من ذلك فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز دفع الرشوة للوصول إلى حق أو لدفع ظلم خاصة بعد أن يستنفذ صاحب المظلمة كل الطرق المباحة والمشروعة وليس له إلا بذل الرشوة كطريق للوصول إلى حقه المسلوب أو لدفع ظلم وضرر سوف يحقق به، فلو بذلت الرشوة للشافع فلا إثم على الباذل ويأثم الشافع لأنه أخذ مالاً حراماً في أمر هو واجب عليه أداؤه.

• المطلب الثاني: إسقاط حد بعد وجوبه (أي: بعد وصوله للإمام)

حكمها:

١- لا خلاف بين الفقهاء في تحريم الشفاعة في حد من حدود الله بعد بلوغه إلى الإمام وقد أمرنا الله ألا تأخذنا الرأفة بالجاني وألا نتهاون في إقامة الحد عليه وربط ذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَدَايَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

(١) النور ٢.

« وقد جاءنا النهي الصريح عن الشفاعة في الحدود والنكير الشديد على من يفعل هذا وذلك كما في الأمثلة التالية:

٢- عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشاً أهمها شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ، فقالوا، ومن يجتري عليه إلا أسامة بن زيد ؓ حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة ؓ، فقال ﷺ: " أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، فقال: أيها الناس: إنما هلك الذين من قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها - سرقت لقطعت يدها " وفي لفظ: " لا أراك تشفع في حد من حدود الله ".

وجه الاستدلال: إذا كان ترك الحدود والمداينة فيها، وإسقاطها عن الأكابر من أسباب الهلاك كانت إقامتها على كل أحد من غير فرق بين شريف ووضيع من أسباب الحياة ولذا فقد نهى عن الشفاعة في الحدود.

٣- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً: (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره).

وجه الاستدلال: فيه دليل على تحريم الشفاعة في الحدود، والترهيب لمن يفعل هذا ووصفه بأنه معارض لشرع الله تعالى ومضاد له في إقامة حدوده وتنفيذ أوامره في خلقه.

٤- وللطبراني أيضاً: (أيا رجل حالت شفاعته دون حد من حدود الله، لم يزل في غضب الله حتى ينزع).

وجه الاستدلال: فيه تحذير من الشفاعة في حدود الله وأنها سبب للحوق غضب الله عز وجل لمن يقوم بهذه الشفاعة وهذا دليل على حرمتها.

ولذلك تكون الشفاعة غير جائزة لأنها سعي في إثم وإسقاط حد بعد وجوبه.

◀ الإجماع: ونقل عن ابن عبد البر الإجماع على أنه يجب على السلطان إقامة الحد إذا بلغه.

• المطلب الثالث: الشفاعة في إحقاق باطل أو إبطال حق:

وذلك كتقديم من لا يستحق أو تأخير مستحق وخاصة في إسناد الولايات، ولاشك أن هذا نوع من الظلم المنهي عنه بالشرع إضافة إلى أنه نوع من أنواع الخيانة المحرمة والأدلة على ذلك:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

٢- وعن معقل بن يسار ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة " (٢).

٣ - وقال عمر ؓ: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين).

• المطلب الرابع: كل ما فيه ضرر بمصلحة الأمة والأفراد:

مما لم يؤذن فيه الشرع من المعاصي: كالسعي في الإثم والمعاصي أو العمل على منع الفرائض والواجبات، وذلك كأن يشفع في إقامة

(١) الأنفال ٢٧.

(٢) متفق عليه.

حانات للخمر أو مصانع لها، أو إقامة مسارح للرقص ولتعلم فنونه، وما إلى ذلك.

وكذلك مثل أن يشفع لمنع إقامة مسجد أو حلقة لتحفيظ القرآن، أو بناء مدرسة، وما إلى ذلك من تعطيل لوجوه الخير المختلفة.

وهذه الشفاعة محرمة بنص الكتاب والسنة:

أما الكتاب: فلأنها من التعاون على الإثم والعدوان المنهي عنها بنص القرآن لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْآفْلَاحَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَّبِعُونَ فَضلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

وأما السنة: لقوله ﷺ: ". . . ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم من شيء"^(٢).

وجه الاستدلال: أن هذا النوع من الشفاعة هو من السنة السيئة المنهي عنها بنص الحديث ناهيك عن الإثم والوزر الذي يحق بصاحبه.

(١) المائدة ٢.

(٢) رواه مسلم.

• المبحث الثالث: الشفاعة الجائزة:

وفيه أربعة مطالب:

• المطلب الأول: في العنود إذا لم تبلغ الإمام:

حظر الإسلام هذه الشفاعة إذا وصلت الجريمة إلى الإمام أما قبل ذلك فلا مانع منها وذلك للأثار التالية:

﴿ يروى أن سارقاً مر بسعيد بن جبير وعطاء - رحمهما الله - فشفعا له فقبل لهما: وتريان ذلك فقالا: نعم ما لم يؤت به إلى الإمام.

﴿ وفي الموطأ عن الزبير رضي الله عنه: (إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع).

﴿ روى ابن أبي شيبة أن ابن عباس وعمارا والزبير رضي الله عنهم - أخذوا سارقاً فخلوا سبيله فقلت: لابن عباس بئسما صنعتما حين خلستم سبيله، فقال: لا أم لك لو كنت مكانه لسرك أن نخلي سبيلك.

﴿ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (تعافوا في الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب).

وتعافوا تعني تجاوزوا عنها ولا ترفعونها إلي فإنني متى علمتها أقمتها. وقال الشوكاني: (وينبغي أن يقيد المنع من الشفاعة بما إذا كان بعد الرفع إلى الإمام لا إذا كان قبل ذلك واستشهد بحديث صفوان ابن أمية).

قال الحافظ ابن العربي المالكي في المسألة السادسة عشر: (لا شفاعة في الحدود إذا بلغت الإمام، وقبل أن تبلغ يجوز فيها الشفاعة، لأنه من باب الستر على مسلم).

﴿ في قصة الذي سرق رداؤه ثم وقد روى الدارقطني: عن الزبير أن النبي ﷺ قال لصفوان: أفلا كان هذا قبل أن تأتيني به، اشفعوا ما لم يصل إلى الوالي فإذا وصل إلى الوالي بعفاء فلا عفى الله عنه ثم أمر بقطعه من المفصل.

وقد رأى الأوزاعي الشفاعة فيها وأحمد، فقال أحمد: (يشفع ما لم يبلغ السلطان).

وقال مالك: (يشفع فيمن لم يشتهر بإيذاء الناس ما لم يبلغ الإمام)، وقال: قول مالك هو الصحيح لأن من كثّر ضرره وتعين عقوبته وتركه إعانة له عليه ولا يشفع فيمن اشتهر بإيذاء الناس.

وقد رجح الشوكاني عدم الفرق بين المحدودين (من اشتهر ومن لم يشتهر) وقال عن الأحاديث التي ترغب في ستر المسلم إنها محمولة على أفضلية الستر قبل الرفع إلى الإمام.

ونقل عن ابن البر الإجماع على أنه يجب على السلطان إقامة الحد إذا بلغه، وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: " حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمحطوا أربعين صباحا ".

قال في نيل الأوطار: (حديث أبي هريرة فيه الترغيب في إقامة الحدود وإن ذلك مما ينتفع به الناس لما فيه من تنفيذ أحكام الله تعالى وعدم الرأفة بالعصاة وردعهم عن هتك حرّات المسلمين ومن عا كان تحريم الشفاعة في إقامة الحدود على مرتكبيها بعد رفعها للحاكم وهو وجه الدلالة في الحديث فتبين من الآية والأحاديث وأقوال الفقهاء فيما سبق حظر هذه الشفاعة السيئة، الخاصة بالحدود بعد رفع الجريمة إلى ولي الأمر لأن في

إقامة الحد نفعا للناس، وتنفيذا لأحكام الله تعالى، وحياة للنفوس، واستتبابا للأمن، وقمعا للمجرمين، وتوفيرا في الاقتصاد، وصيانة للحرّمات والأعراض، ونشرا للفضيلة، وهجرا للرديلة.

• المطلب الثاني: في التعازير:

تعريف التعزير:

أما التعازير فيجوز فيها الشفاعة بلغت الحاكم أم لم تبلغ (بل يستحب) والضابط العام أن الشفاعة الحسنة الجائزة هي ما كانت فيما استحسنه الشارع والسيئة فيما كرهه وحرّمه، فقد جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه يستعين به على ابن الزبير رضي الله عنه وكان عاملا له فقال له ابن عباس: أنت امرؤ ظلم لا يحل لأحد أن يشفع لك ولا يدفع عنك.

قال المالكية: (إذا لم يكن المشفوع له صاحب شر).

وقد رأى الأوزاعي الشفاعة فيها وأحمد، وقال مالك: (يشفع فيمن لم يشتهر بإيذاء الناس ما لم يبلغ الإمام)، وقال: قول مالك هو الصحيح لأن من كثر ضرره تعينت عقوبته وتركه إعانة له عليه ولا يشفع فيمن اشتهر بإيذاء الناس.

وقد رجح الشوكاني عدم الفرق بين المحدودين (من اشتهر ومن لم يشتهر) وقال عن الأحاديث التي ترغب في ستر المسلم إنها محمولة على أفضلية الستر قبل الرفع إلى الإمام.

• المطلب الثالث: في الدماء كالقصاص بالنفس وما دون النفس:

وهذه الشفاعة جائزة وفيها حض على العفو والتنازل الذي دعت إليه

الشرعية حيث قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١).

وحدث على العفو في جرائم القصاص ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

• المطلب الرابع: في الحقوق المالية:

وهذه الشفاعة جائزة كذلك لما مر معنا من الأحاديث التي حث فيها النبي ﷺ على إبراء المدين والتخفيف من الدين وسعيه بنفسه في مثل تلك الأمور كحديث بريرة وجابر وكعب بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

• البحث الرابع: حكم الهدية على الشفاعة:

تعريف الهدية:

هي ما يلزم الموهوب له عوضه.

وقد قسم الماوردي الشافعي الشفاعة والهدايا عليها إلى أقسام ثلاثة وهي

كما يلي:

(١) البقرة ٢٣٧.

(٢) البقرة ١٧٨.

القسم الأول: أن يشفع في محذور:

كإسقاط حق أو معونة على ظلم فالشافع في هذا ظالم وبقبول الهدية عليها آثم، فلا تحل الشفاعة ولا تحل الهدية.

القسم الثاني: أن يشفع في حق يجب القيام به:

مثل أن يشفع لرجل عند ولي الأمر ليدفع عنه ظلمه أو يوصل إليه حقه أو يوليه على ولاية يستحقها أو يستخدمه بالجند المقاتلة وهو مستحق لذلك أو يعطيه من المال الموقوف على الفقراء أو غيرهم وهو من أهل الاستحقاق.

إن هذه من الشفاعة التي فيها إعانة على فعل واجب أو ترك محرم فالشفاعة في هذه الحالة مستحقة عليه والهدية محظورة يحرم أخذها لأن لوازم الحقوق لا يستجمل عليها مع ملاحظة أنه يجوز للمهدي أن يبذل في ذلك ما يتوصل به إلى أخذ حق أو دفع الظلم عنه^(١)

القسم الثالث: أن يشفع في مباح لا يلزمه:

فالشافع بشفاعته محسن لما فيها من التعاون الذي حضت عليه الشريعة وقد روي عن النبي ﷺ: " اشفعوا إلي ويقضي الله على لسان رسوله ما يشاء ".

وللهدية على الشفاعة ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: أن يشترطها الشافع، فقبولها حينئذ محذور عليه، لأنه يأخذ العوض على حسن قد كان منه.

الحالة الثانية: أن يقول المهدي هذه الهدية جزاء على شفاعتك، فقبولها

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٦/٣١ والإنصاف ٢١٤/١١.

حينئذ محظور عليه أيضاً، فهي كما لو شرطها، لأنها لما جعلت جزاء صارت كالشرط.

الحالة الثالثة: أن يمسك الشافع عن اشتراطها، ويمسك المهدي عن الجزاء بها، فإن كان مهادياً قبل الشفاعة لم يمنع الشافع من قبولها، ولم يكره له القبول، وإن كان غير مهاد قبل الشفاعة كره له القبول وإن لم يحرم عليه. فإن كافأ عليها لم يكره له القبول وبهذا نأتي إلى نهاية ما أردنا بحثه وبيانه في هذه الأحوال الثلاثة.

وجه الدلالة: ودليل تحريمها على الآخذ فيما سبق قوله ﷺ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: " من شفع شفاعة لأخيه فأهدى له هدية عليها فقبلها منه فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا " ^(١)

ففي هذا الحديث دلالة على تحريم الهدية في مقابلة الشفاعة وأن حرمتها كحرمة أكل الربا، والحديث دليل على تحريم الهدية في مقابلة الشفاعة وظاهره سواء كان قاصداً لذلك عند الشفاعة أو غير قاصد لها، وتسميته ربا من باب الاستعارة للشبه بينهما، ذلك لأن الربا هو الزيادة في المال من الغير لا في مقابلة عوض وهذا مثله.

فلا يجوز للشفعاء والذين يعرفون الحكام، ولهم جاه عندهم أن يأخذوا الهدايا ليوصلوا صاحب الحق إلى مطلبه لأن السعي لإعطاء كل ذي حق حقه واجب ديني لا يجوز أن يقابل بعوض.

جاء في عون المعبود عند شرح الحديث المتقدم وتبرير حرمة أخذ الهدية في مقابل الشفاعة: " ذلك لأن الشفاعة الحسنة مندوب إليها وقد تكون واجبة فأخذ الهدية عليها يضيع أجرها كما أن الربا يضيع الحلال ".

(١) رواه أحمد وأبو داود.

إن قبول الهدية على الشفاعة ضرب من ضروب الربا، والربا حرام فيكون قبولهما حراماً.

وسئل ابن مسعود - رضي الله عنهما - عن السحت ؟ فقال: هو أن تشفع لأخيك شفاعة فيهدي لك هدية فتقبلها، فقيل له: أرايت إن كانت هدية في باطل ؟ فقال: ذلك كفر ومن لم يحكم لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

ففيه بيان أن أخذ الهدية على الشفاعة سحت والسحت يحرم أخذه فأخذ الهدية على الشفاعة محرم.

وعن مسروق: أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفاً، فرده ولم يقبله، وقال مسروق: سمعت ابن مسعود يقول: (من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليل أو كثير فوق سحت. فقال الرجل يا أبا عبدالله: ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم فقال ذلك كفر نعوذ بالله من ذلك).

وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء كابن حزم في قبول الهدية على الشفاعة: يقول ابن حزم: وأما من نصر آخر في حق أو دفع عنه ظلماً لم يشترط عليه في ذلك عطاء فأهدى إليه

مكافأة فهذا حسن ولا نكرهه لأنه من جملة شكر المنعم، وهدية بطيب نفس ولا نعلم قرآناً ولا سنة في المنع من ذلك، وقد رويناه عن علي و ابن مسعود - رضي الله عنهم - المنع من هذا ولا نعلم برهاناً يمنع منه.

وقول ابن حزم مخالف للسنة وأقوال الصحابة والأئمة فقد مضى ببيان النصوص التي تمنع القبول وبها يبطل قول ابن حزم بأنه لم يرد نص من السنة في المنع من ذلك وشكر المنعم لا يكون فيما فيه مخالفة للسنة وهو حديث أبي أمامة: " من شفع لأخيه "، الحديث السالف ذكره.

وقال ابن رجب الحنبلي: (الهدية لمن يشفع له بشفاعة عند السلطان ونحوه لا يجوز أخذها لأنها كالأجرة، والشفاعة من المصالح العامة فلا يجوز الأجرة عليها) وذلك لورود حديث صريح في السنن في ذلك.

ونص أحمد في رواية صالح فيمن عنده ديدة فأداها فأهدي له هدية أن لا يقبلها إلا بنية المكافأة، وحكم الهدية عند أداء سائر الأمانات حكم الوديعة. وقال ابن تيمية: (وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء في ذلك وجعل وجعل هذا من باب (الجعالة) وهذا مخالف للسنة وأقوال الصحابة والأئمة).

ثم فصل القول في ذلك بأن هذه الشفاعة واجبة إما على الأعيان فرضاً وإما على الكفاية وتى شرع أخذ الجعل عليها، وقال في مقام آخر: (.. وإما الواجب كف الظلم عنهم بحسب القدرة وقضاء حوائجهم التي لا تتم مصلحة الناس إل بها، من تبليغ ذي سلطان حاجاتهم وتعريفه بأمورهم ودلالته على مصالحهم وصرفه عن مفسدهم بأنواع الطرق اللطيفة وغير اللطيفة، هذا فضلاً عن ما سبق ذكره من أخبار وآثار عن بعض الصحابة كعمر وابن مسعود - رضي الله عنهما - وغيرهما وأنها سحت لا يحل أخذها.

ونقل عن الحسن بن أحمد البنا قوله: (لا يجوز أخذ العوض في مقابلة الدفع عن المظلوم).

ورفع حاجة المظلوم واجبة على من يستطيع رفعها، قال أبو الفرج بن الجوزي: (يجب على الولاة إيصال قصص المظلومين وأهل الحوائج).

وجاء نصراني إلى الإمام الأوزاعي وكان يسكن بيروت، فقال: إن والي بعلبك ظلمني وأريد أن تكتب فيّ إليه وأتاه بقلّة عسل فقال له: إن شئت رددت عليك قلنك وأكتب إليه وإن شئت أخذتها ولا أكتب، فقال النصراني بل اكتب لي واردها فكتب له أن ضع عنه من خراجه، فشفعه الوالي فيه وحط عنه من جزيته ثلاثين درهما.

• المبحث الخامس: الشفاعة لتولي المناصب:

١- قال ﷺ: "يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها" (١).

٢- عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: "إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرصعة وبشت الفاطمة".

٣- حديث أبي ذر ؓ قال للنبي ﷺ: ألا تستعملني؟ فقال ﷺ: إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها".

٤- عن أبي موسى الأشعري ؓ قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحد الرجلين: أمرنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر: مثل ذلك، فقال ﷺ: إنا والله لا نولي أحدا سألناه أو حرص عليه" (٢).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم ٣ / ١٤٥٦ في الإمارة.

والذي يستفاد من الأحاديث ما يلي:

١- الأصل أن الشخص لا يطلب الولاية ولا يتمناها ولا يحرص عليها، وذلك للأسباب التالية:

أ - أن من سأل الولاية فقد وكل إليها فلا تكون معه إعانة من الله تعالى، وإذا لم تكن معه إعانة لم يكن كفئاً ولا يولي غير الكفاء.

ب- فيه تهمة للطالب والحريص، ولذا قال سفيان الثوري: إذا رأيت الرجل يحرص أن يؤمر فأخره.

٢- يستثني من هذا الأصل من أخذ الولاية بحقها (لأن فيه تقييد المطلق في الأحاديث):

وذلك لقوله ﷺ: " نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها، وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها وتكون عليه حسرة يوم القيامة ".

ولقوله ﷺ لأبي ذر ؓ: " إنك ضعيف وإنها خزي وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ".

قال الإمام النووي: هذا الحديث أصل عظيم في اجتتاب الولاية لاسيما لمن كان في ضعف عن القيام بوظائفها والخزي والندامة من حق من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً لها ولم يعدل فيخزيه الله يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، فأما من كان أهلاً لها وعدل فيها فلهفضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " ومنهم إمام عادل، وكذلك حديث: " إن المقسطين على منابر من نور "، وغير ذلك.

ولكثره الخطر فيها حذر - عليه الصلاة والسلام - منها ولذلك اقتنع خلائق من السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا.

٣- ذهب بعض العلماء إلى كراهة التولي بقوله: من طلب الإمارة فأعفيها تركت إعانته عليها من أجل حرصه، ويستفاد من هذا أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه يدخل في الإمارة القضاء والحسبة ونحو ذلك.

لكن رد ابن حجر على هذا الكلام وقال: ويعارضه في الظاهر ما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه: "من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جورهم فله الجنة ومن غلب جورهم عدله فله النار"، والجمع بينهما:

لا يلزم من كونه لا يعان بسبب طلبه أن لا يحصل العدل منه إذا ولي، أو يحمل الطلب هنا على القصد وهناك على التولية، فإن من لم يكن له من الله عون على عمله لا يكون فيه كفاية لذلك العمل فلا ينبغي أن يجاب سؤاله ومن المعلوم أن كل ولاية لا تخلو من المشقة فمن لم يكن له من الله الإعانة تورط فيما دخل فيه وخسر دنياه وعقباه، فمن كان ذا عقل لم يتعرض للطلب أصلاً بل إن كان كافياً وأعطى من غير مسألة فقد وعده الصادق بالإعانة ولا يخفى ما في ذلك من فضل.

٤- قال المنذري: اختلف العلماء في طلب الولاية مجرداً هل يجوز أم يمنع؟ وأما إن كان لرزق يرزقه الله أو لتضييع القائم بها أو خوفه حصولها في غير مستوجبها ونيته إقامة الحق فذلك جائز له.

٥- أما مسألة طلب الولاية بالشفاعة: قال المهلب: جاء في تفسير الإعانة عليها في حديث بلال بن مرداس عن خزيمة عن أنس: (من طلب القضاء بالشفعاء وكل إلى نفسه ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكاً يسدده).

والإكراه: أن يدعى عليه فلا يرى نفسه أهلاً لذلك هيبة له وخوفاً من الوقوع في المحذور فإنه يعان عليه إذا دخل فيه ويسدد، والأصل فيه أن من تواضع لله رفعه الله، وقال ابن (—) هو محمود على الغالب وإلا فقد سأل يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ وسأل سليمان عليه السلام: ﴿وهب لي ملكاً﴾، قال ويحتمل أن يكون في غير الأنبياء.

٦- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (عند كلامه عن الهدية التي تدفع لشافع عند ولي الأمر: ليرفع عنه مظلمة أو يوصل إليه حقه أو يوليه ولاية يستحقها هذه شفاعته فيها إعانة على فعل واجب أو ترك محرم لا يجوز فيها قبول الهدية ويجوز للمهدي أن يبذل في ذلك ما يتوصل به إلى أخذ حقه أو دفع الظلم عنه وهذا منقول عن السلف والأئمة الأكابر) ^(١).

ومعنى هذا أنه ينبغي للشخص إن كان ممن يستحق ولاية معينة فله أن يستشفع برجل عند السلطان ولا حرج بل إن اقتضى الأمر أن يبذل مالاً أو هدية فلا حرج عليه، إنما الإثم على الذي يقبل المال أو الهدية.

• الفصل الثالث: الشفاعة (آدابها ومجالاتها وثمراتها):

• المبحث الأول: آداب الشفاعة:

• المطلب الأول: آداب الشافع:

يجب على كل من يتصدى للشفاعة أن يتحلى بمجموعة من الآداب التي تعينه في شفاعته وتضمن له تحقيق مقصوده مع حصول الأجر والثواب على عمله، وذلك على النحو الآتي:

(١) ٣١ / ٢٨٦ - ٢٨٧ مجموع الفتاوي.

- ١- الإخلاص: وذلك أن يخلص الشافع في شفاعته لله سبحانه وتعالى مبتغيًا الأجر منه وحده لا من أحد، وذلك حتى يتجنب الرياء المحبط للعمل، قال ﷺ: قال الله تعالى: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه". رواه مسلم.
- ٢- أن تكون عامة: لكل مسلم يحتاج إلى مساعدة أو تفريج كرب دون النظر إلى قرابة أو مصلحة أو جاه أو غنى.
- ٣- أن تكون في محاب الله وطاعته: فلا تكون في مكارهه سبحانه ومعصيته، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾^(١).
- ٤- أن تكون بلا من ولا أذى: لأن المن غاية في الأذى ومحبط ثواب العمل ولذا لا بد أن تكون الشفاعة عن طيب نفس وحب في نفع المؤمنين والتماس رضى الله سبحانه.
- ٥- أن لا تكون في حد من حدود الله تعالى: إذا وصلت للإمام أما قبل ذلك فتجوز وذلك عندما كلم رسول الله ﷺ أسامة بن زيد رضى الله عنه زاجرًا أتشفع في حد من حدود الله.
- ٦- ألا يأخذ أجرًا أو هدية على شفاعته: كحديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: "من شفع لأخيه شفاعه فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا" رواه الإمام أحمد وأبو داود.
- ٧- مراعاة الأولويات: وذلك بتقديم الأهم على المهم: خاصة لمن

(١) النساء ٨٥.

يعرض له أمران وكان أحدهما أكثر أهمية من الآخر فيقدمه عليه آخذ في الاعتبار المنفعة والمصلحة العامة على المصالح الخاصة، مثلاً: إذا جاء طالب فقير ذو مسؤوليات يريد وظيفة وعنده مؤهلات وجاءه آخر يريد ترقية في وظيفة، فيقدم تعيين الفقير على ترقية الآخر.

٨- الصدق: وذلك بأن يصدق الشافع فيما يذكر عن المشفوع له، فلا يجوز تغيير الحقائق بالكذب، وذلك كأن يكون الشخص مديون في ثمن سيارة ثم يقول الشافع أن هذا الشخص مريض يحتاج لمبلغ طائل للعلاج خارج البلاد.

٩- التثبت: على الشافع أن يتأكد ويتثبت مما يكتبه أو يقوله في وصف حال من يشفع له خاصة أن بعض الناس يبالغ في الحاجة ويكذب فيها ويصدق الشافع دون بينة كأوراق رسمية أو شهادة شهود أو تراكيبات من عدول، وما إلى ذلك..

١٠- أن لا يصاب بالإحباط وأن لا ييالي بالمتبطين: ليعلم الشافع أنه عندما يقدم على الشفاعة أنه أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن تقبل شفاعته وهو المطلوب المحبوب، وإما أن ترد شفاعته، فلا ينبغي أن يضجر من رد شفاعته فهو قد بذل السبب وقد وقع أجره على الله إذا أخلص، وإن لم تقبل شفاعته فلا يحمله ذلك هذا الرد على العزم على ترك الشفاعة أبداً فلا بد من تعويد النفس على الرضا والصبر والاحتساب لكل صور الرد. وهذا ﷺ وهو أفضل الخلق وأكرمهم قد تشفع لمغيث عند زوجته بريرة رضي الله عنها لو راجعته فقالت: تأمرني؟ فقال إنما أنا شافع فقالت: لا حاجة لي فيه. رواه البخاري قال ابن الجوزي رحمه الله كان هارون الرقي قد عاهد الله أن لا يسأله أحد كتاب شفاعة إلا فعل، فجاءه رجل فأخبره أن ابنه أسر بالروم

وسأله أن يكتب إلى ملك الروم في إطلاقه، فقال له ويحك من أين تعرفني، وإذا سألت عني قيل هو مسلم، فكيف يقضي حقي؟ فقال له السائل: أذكر العهد مع الله تعالى، فكتب له إلى ملك الروم، فلما قرأ الكتاب قال: من هذا الذي قد شفع إلينا؟ قيل: هذا رجل قد عاهد الله لا يسأل كتاب شفاعته إلا كتبه إلى أي من كان، فقال ملك الروم: هذا حقيق بالإسعاف أطلقوا أسيره واكتبوا جواب كتابه وقولوا له: أكتب بكل حاجة تعرض فإننا نشفعك فيها^(١).

١١- عدم الحياء من إبداء الشفاعته: الأصل أن الحياء صفة محمودة ولكن يجب أن لا يمنع الحياء الشافع من الفعل المحمود كذلك وهو الشفاعته خاصة لمن عنده جاه ومكانة عند المشفوع له فلا يفوت على نفسه الأجر والثواب بتفريغ الكرب فلا تردد ولا تأخر في الطاعات والشفاعة نوع منها.

١٢- أن يشفع الشافع بحضرة المشفوع، ليكون أعز منه إذا لم تقبل شفاعته، وذلك لما جاء عن النبي ﷺ في قصة بريدة رضي الله عنها: (فأتي بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها) وذلك بحضرة زوجها مغيث رضي الله عنه.

• المطلب الثاني: آداب المشفوع له (طالب الشفاعته):

ينبغي أن يتحلى طالب الشفاعته بآداب شرعية، ومن ذلك:

١- حسن المسألة: ذلك بانتقاء أطايب الكلام وحسن الأسلوب بلطافة ولباقة فلا ينبغي أن يطلبها على سبيل الإلزام والإجبار، لأن الشافع محسن

(١) الآداب ٢/ ١٨٠-١٨١.

والمشفوع له محسن إليه وصاحب حاجة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

٢- أذار طالب الشفاعة للشافع: خاصة إذا اعتذر عن القيام بالشفاعة أو اعتذر المشفوع عنده من تلبية طلبه فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها فيلتمس له العذر.

٣- أن يطلبها من أصلها: كالأشخاص من أصحاب الجاه والسلطان والمركز ومن يملكون جاهاً عند الناس ولا ترد شفاعتهم غالباً.

٤- أن تكون في وقتها المناسب: وذلك أدعى لقبول الشفاعة.

٥- أن يطلب ما يستحقه: فلا ينبغي له أن يطلب ما لا يستحقه، وإلا كان الحرمان مصيره، قال خالد بن صفوان: (لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ولا تطلبوها في غير حينها ولا تطلبوا ما لا تستحقون فإن من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان)^(٢).

٦- أن لا يستعين بكذاب: لأنه يغير الحقائق و يبالي في ذلك وذلك أدعى للرفض وعدم المصادقية.

٧- أن لا يطلب حاجته من محتاجها: لأن المحتاج هو أولى منه بها ففاقد الشيء لا يعطيه.

(١) التوبة ٩١.

(٢) الآداب ١٧٨/٢.

• المطلب الثالث: آداب المشفوع عنده:

أهم الأمور التي يجب أن يتحلى بها المشفوع عنده هي:

- ١- حمد الله بأن هياً له فرصة من فرص الخير وفتح له باباً إليه وأن جعل حاجة المشفوع له عنده ولم يجعل حاجته عند الناس.
- ٢- عدم رد طالب الشفاعة خاصة وأنه لم يأت إلا وقد أحسن الظن به وهو قادر على إعانته والوقوف معه في محنته.
- ٣- أن يبش في وجه طالب الشفاعة ويبسط له وجهه وألا يصعر خده معرضاً عنه وأن يعامله بكل طيب ولطف ولين لأن الأسلوب السيئ فيه إذابة لطالب الشفاعة.
- ٤- أن يبذل أقصى جهده ويستنفذ طاقته في قضاء حاجة أخيه إن كان بفعله هو أو يستعين عليها بأشخاص آخرين، قال شيخ الإمام البخاري عبد الله بن عثمان: (ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي فإن تم وإلا قمت له بمالي فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان)^(١).

• المبحث الثاني: مجالات الشفاعة:

بما أن الشفاعة المشروعة لم تكن إلا في الخير بما أن أبواب الخير كثيرة لا تعد ولا تحصى ولذا لا بد من الإشارة إلى الشفاعة بمجالها العام والخاص، فالشفاعة العامة ما كان نفعها واسعاً متعدياً إلى عموم المسلمين، أما الشفاعة الخاصة فهي ما كان نفعها مخصوصاً ومحددًا لفرد بعينه.

كما لا يخفى عظيم الثواب عند رب العالمين المتحصل بالشفاعة بنوعها وأن من فضل الله ورحمته أن جعل أجر الداعي إلى الخير والمرغب فيه

(١) الآداب الشرعية ٢/ ١٨٠.

كأجر الفاعل له، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"^(١).

أما مجالات الشفاعة فهي بحسب أهميتها واجتهادنا تكون كما يلي:

١ - الشفاعة في تحصيل العلم الشرعي: لا شك أن العلم الشرعي من أهم العلوم وأشرفها في التحصيل، وأن الله يجزي معلم الناس الخير ويجزي له الثواب وإن مات في قبره مصداقاً لقوله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث - وذكر - أو علم ينتفع به"^(٢).

٢ - الشفاعة في تحفيظ القرآن الكريم وتعليمه: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: "أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، فقال أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع ومن أعدادهن من الإبل"^(٣)، فكم يا ترى هو أجر من شفع أو شجع على إنشاء حلقة لتحفيظ القرآن الكريم تعليمه، فيتعلم فيها من عباد الله ما يمتد توافدهم إلى ما بعد موته ويبقى أجره وله مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

٣ - الشفاعة في كفالة الأيتام والسعي على الأرامل: عن سهل بن سعد

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا - وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً -" (١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر" (٢).

٤- الشفاعة للضعفة والمساكين: عن مصعب بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "هل تتصرون وترزقون إلا بضعفائكم" (٣).

٥- الشفاعة في بناء مسجد وإن صغر: عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "من بنى لله مسجدًا، ولو كمفحص قطاة لبيضا بني الله له بيتًا في الجنة" (٤)، ومعنى مفحص قطاة: أي موضع طير القطاة الذي تجثم وتبيض فيه.

٦- الشفاعة في رد الحقوق والمظالم إلى أهلها: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... ومن مشى مع أخيه في حاجته حتى تتهيا له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ..." (٥)، وهذا من فضل وثواب الشفاعة في الخير وفي الأمور المستحبة شرعًا، فكيف من شفع في الحقوق الواجبة وفي رد المظالم والأمانات إلى أهلها، لا شك ولا ريب أنه أولى وأعظم بإذن الله.

٧- الشفاعة في إصلاح ذات البين: وهي من أفضل القربات عند الله

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الإمام أحمد.

(٥) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني.

تعالى، التي رتب الله عليها الأجر العظيم حيث قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

٨- الشفاعة في علاج المرضى والتخفيف عن المصابين: قال ﷺ: " في كل ذات كبد رطبة أجر " ^(٢) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة " ^(٣)

٩- الشفاعة في وجوه البر والأعمال الخيرية: عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إن هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلقاً للخير " ^(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته " ^(٥)

(١) النساء: ١١٤.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

(٥) رواه ابن ماجه وحسنه الألباني.

• المبحث الثالث: ثمرات الشفاعة:

١- حب الله للعبد: وذلك إن كان الشافع مؤمناً، شافعاً في خير لأخيه المؤمن عن إخلاص، فإنه يشمل به بإذن الله ورحمته قول النبي ﷺ: "أحب الناس لله تعالى أنفعهم للناس". (١)

٢- ترجى له الرحمة: قال ﷺ في أهل الجنة: ". وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعريف متعفف ذو عيال. ..

٣- أنها مما يلتمس فيها النصر والرزق: فعن مصعب بن سعد ؓ أن النبي ﷺ قال: "هل تتصرون و ترزقون إلا بضغائنكم".

٤- أنها من جملة أعمال البر التي تلتبس زيادة العمر: وذلك أن الشفاعة الحسنة وفي وجوه الخير هي من جملة أعمال البر، التي تطيل العمر. وقد قال ﷺ: "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر" و معنى زيادة العمر: "قيل أنه يزداد حقيقة. و قيل: إنه إذا بر لا يضيع عمره فكأنه زاد. وقيل أنه سبحانه قدر أعمال البر وجعلنا سبباً لرد البلاء، فالدعاء للوالدين و بقية الأرحام يزيد في العمر: و من ذلك أنه يبارك له في عمره فييسر له في الزمن القليل من الأعمال الصالحة ما لا يتيسر لغيره من العمل الكثير". أ.هـ.

٥- إنها من التواضع الذي يدخل الجنة: وقد أثبت سبحانه حبه لعباده المؤمنين المتواضعين وجعل من صفتهم أنهم يحبونه، فأحبهم، وأنهم أدلة على المؤمنين، فأعزهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير وابن أبي الدنيا وحسن الألباني في الصحيحة.

اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^(١)، ومعنى: "أذلة على المؤمنين" أي: متذللين لهم، عاطفين عليهم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ما تواضع أحد لله إلا رفعه"^(٢)، والشفاعة من صفات المتواضعين، إذ المتكبر يأنف من أن يكون شافعاً.

٦- أنها مما تحقق فيها الأخوة الإيمانية: وذلك في أحاديث عديدة منها الحديث المتقدم حيث قال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم..." الحديث وغيره.

٧- حب الناس للعبد ودعائهم له: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم: بسط الوجه وحسن الخلق"^(٣)، ومعلوم أن الناس إذا أحبوا أخاً لهم في الله دعوا له في حياته وبعد مماته، ولا ينكرونه إلا بخير، وتلك عاجل بشرى المؤمن، وما قصة الجنائزتين عنا ببعيد، فعن أنس رضي الله عنه قال: مروا بجنائزة فأنثوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ: "وجب"، ثم مروا بأخرى، فأنثوا عليها شراً، فقال: "وجب"، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وما وجبت: قال: "هذا أثنيت عليه خيراً فوجب له الجنة، وهذا أثنيت عليه شراً فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض"^(٤).

(١) المائدة ٥٤.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو يعلى والبراز وحسنه الإمام ابن حجر رحمه الله.

(٤) متفق عليه واللفظ للبخاري.

٨- كسب الأجر العاجل والآجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ

فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: "... فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة..."^(٢)، وقال ﷺ: " في كل ذات كبد رطبة أجر "^(٣)، وقال: " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.. - إلى أن قال -.. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "^(٤)، فتبين بذلك عظم ثواب وأجر من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا، وفي ذلك ترغيب في الإكثار من تنفيس الكرب، وحري بمن كان دأبه تنفيس الكرب أن ينفس عنه يوم القيامة برحمة الله وذلك بصادق موعوده ﷺ في قوله: " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " فإن الله يعينه في دنياه وآخرته، ويستطيع اللبيب المخلص أن يحقق من الأجور العظيمة في ذلك ما لا يخطر ببال عن طريق الشفاعة في الخير، فالتنفيس لا يكون بالمال فقط كما تقدم آنفاً، ولو حرص العبد على ألا يمر يوم إلا وهو يشفع لإخوانه المسلمين ويمشي في حوائجهم، فإن يستطيع بإذن الله أن يجمع في عمره آلاف الشفاعات، التي قد تتجاوز كربته يوم القيامة، وذلك من رحمة الله

(١) النمل ٨٩.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

بعباده، ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

٩- قد يكون من المشفوع لهم يوم القيامة: ما من مؤمن إلا وهو يرجو ويؤمل ويسأل أن يشفع فيه النبي ﷺ يوم القيامة، ونسأل الله الكريم من واسع فضله، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٢).

﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾^(٣)، وقال ﷺ: "...وطل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة"^(٤) فإنه قد يكون بفضل الله على العبد ثم إخلاصه لربه سبحانه ورجائه ثوابه من الذين يرضى الله عنهم، فيشفع فيه نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وليس ذلك بعزيز على رب كريم رحيم واسع المن والعطاء مثل ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥).

فهل من مشمر فطن مغتنم ؟ ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٦)

١٠- وجريان ثواب الشفاعة موت صاحبها دون انقطاع: عن أبي

(١) البقرة ١٤٨.

(٢) الرحمن ٦٠.

(٣) النساء ٨٥.

(٤) رواه الطبراني وحسنه الألباني.

(٥) البقرة ٢٦١.

(٦) المطففين ٢٦.

هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال: " إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " (١) ، فكم حصل بفضل الله ثم الشفاعات الحسنة من الدلالة إلى صدقة جارية مثل المساهمة والاقتراح وتسهيل وتذليل العقبات أمام المشاريع الخيرية والتي تزرع بها المجتمعات الإسلامية ككفالة الأيتام والأرامل وغيرها، والدلالة والمعاونة عليها، وفي ذلك قوله ﷺ: " أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا - وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً - " (٢) ، ويكون لکمن شفع في ذلك أو دل عليه أجر كما للكافل أجر بإذن الله وذلك بصادق موعود النبي ﷺ حيث قال: " من دل على خير فله مثل أجر فاعله " (٣) ، وهذا من فضائل الشفاعة والدلالة على الخير، وكذلك بالمسبة لتعليم العلم النافع، فكم حصل بفضل الله ثم الشفاعات الحسنة من كفالة معلم ومحفظ لكتاب الله، وكم حصل من بناء مراكز إسلامية وخاصة في الخارج تدعو إلى الإسلام، فكم هدى الله بها من أناس، وكم من مصحف وكتاب وشريط إسلامي طبع بسبب الشفاعات، تم التعاون فيه أو أسهم ولو بالموازنة. وكم من فرص يضيعها بعض مستطيعي الشفاعة في ذلك، وكم كانت الشفاعة في الترويج والدلالة عليه مثل ما نرى من مشاريع معاونة الشباب على الزواج، فكم حصل فيها من نفع، فقد زوج آلاف من الشباب والفتيات وكونوا أسراً مسلمة، وكم أنجبوا من نراري هم بإذن الله في ميزان حسنات من ساهم في ذلك، ولو بالكلمة الطيبة، أو الشفاعة الحسنة، ولكن هل نعتبر نحن ونشفع كما شفّع الشافعون ؟ لعل الله أن يكتبنا مع المحسنين.

١١- قد تكون من أسباب نجاته من عذاب القبر: ما منا من أحد نحن

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

عباد الله المذنبون المقصرون إلا وهو يسأل الله أن يرزقه النعيم والسرور في القبر ويستعيز به ويسأله النجاة من عذاب القبر وفتنته، فعذاب القبر ونعيمه من الأمور الاعتقادية الجازمة الثابتة في اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة بنص الكتاب والسنة، ومن رحمة الله بالعبد المؤمن أن جعل أعماله الصالحة التي كان يعملها في الدنيا تحيطه في القبر وتحصنه وتؤانس وحشته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس ما قبلي مدخل... " (١).

والشفاعة في الخير هي من جملة فعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس مما يرجى ثوابه وجزاؤه الحسن في القبر ويوم القيامة.

الفصل الرابع: بعض الطرق المقترحة للحد من مشكلة الشفاعة المحرمة
إن لكل مشكلة حل ولا شك أن الشفاعة المحرمة كغيرها من المشكلات لا بد أن يهتم ولاية الأمور بها لأن الله تعالى سألهم عما استرعاهم وأنه (أناط) بهم إصلاح مجتمعاتهم بكل ما أوتوا من عقل وفكر وسلطان، وليس معنى هذا أن نلقي باللائمة على ولاية الأمور لوحدهم، بل إن الأفراد كذلك

(١) رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني.

مسؤولون فكل من الحاكم والمحكوم يعمل في واحد ولذا رأيت أن أجعل العلاج يأخذ طريقين أولهما ما يتعلق بولاية الأمور ممثلين بشخص الحاكم من وزراء وكبار المسؤولين إلى أصغر مسؤول في الدولة، وثانيهما: ما يتعلق بسائر الشعب.

وهذا يعني أنه لا بد من تعاون كل من الحاكم والمحكوم في الحد من هذه المشكلة وتضافر جهودهما، وذلك على النحو الآتي:

١- تحقيق مفهوم المراقبة: وهذا لا يكون إلا بقوة الوازع الديني، وتقوى الله والخوف منه بالسر والعلن، وأن يحقق الموظف مفهوم الإحسان في العمل، مصداقاً لقول النبي ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، أي أن يستشعر الموظف القائم على العمل مراقبة الله له.

٢- الالتزام بالأمانة والبعد عن الخيانة: فالوظيفة أمانة ويجب أن يؤدي الموظف واجبه فيها لأنه من الأمانة والنقصير فيها نوع من الخيانة الذي لا يرضاه الله لعباده، فإن الله يحب عباده الأمناء ويكره الخائنين، فإذا أحسالموظف أن أدائه للواجب أمانة في عنقه ويقيه المساءلة الأخروية ناهيك عن المساءلة الدنيوية من مروضه في العمل فسوف يعمل جاهداً أن يقوم بها خير قيام لقوله ﷺ: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، ولا شك أن الخيانة من صفات المنافقين كما قال عليه أفضل الصلاة والتسليم: "آية المنافق ثلاث - فيها - وإذا أؤتمن خان".

٣- التحلي بالحلم والصبر: عرف الحلم بأنه: (ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب)، وعرف الصبر بأنه: (حبس النفس على ما يقتضيه العقل

والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه)، ومن الصفات المحمودة المطلوبة في الإنسان صفة الحلم الملازمة للصبر، وهما صفتان يكسب بهما المرء قوة التحمل وسعة البال وهما محمودان، ينبغي للموظف أن يتسم بالصبر وسعة الصدر خاصة مع إخوانه من مراجعي الدوائر الحكومية وقضاء المصالح وتخليص معاملاتهم دون ضجر أو ملل أو غضب، لأن الناس منهم الجاهل وقليل الاستيعاب وضعيف العقل ومنهم الأهو، لذا يجب عليه ألا يضيق بهم ذرعاً، بل يحاول قدر المستطاع كظم غيظه والتماس العذر للمراجع على أن لا تفارق الابتسامة محياه مما يدعو المراجع للاستئناس والارتياح وطلب حاجته دون خوف أو وجل من رد فعل الموظف خاصة سريع الغضب وفنيل سعة الصدر.

٤- الإخلاص في العمل وإتقانه: الإخلاص معناه تصفية الإنسان عمله من شوائب إرادة غير وجه الله تعالى، أي يقصد بعمله وجه ربه ولا يقصد به أحد سواه، ويتجرد له ولا يلتفت إلى سواه، والذي يتصف بهذه الصفة يؤدي عمله على خير وجه في سره وعلنه يراقب ربه في ذلك، ويحرص كل الحرص أن يتقن ما أسند إليه من مصالح المسلمين، لأنه يعتبر ذلك عبادة لربه يثيبه على ما أتقن ويحاسبه على ما قصر فيه ونجاحه في العمل من السعي في نصر دين الله، وتقصيره فيه مضرة لنفسه ومجتمعه، ويجب على الموظف أن يخلص في عمله لا يريد جزاء ولا شكوراً من الماس بل ينظر لما أعد الله له من الأجر والثواب في الآخرة مما يجعل للموظف دافعاً قوياً للعمل لنيل رضا الله بقضاء حوائج المؤمنين والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، هذا إذا كان الموظف محسناً فكيف إذا كان الأمر من أهم واجبات الموظف ألا وهي قضاء مصالح الناس.

٥- المساواة وعدم الظلم: إن من تعاسة العبد، وعثرة قدمه وسقوط مكانته: ظلمه لعباد الله وهضمه لحقوقهم، وسحقه حقوقهم، وقد قامت السماوات والأرض على العدل، فقد قال تعالى في الحديث القدسي: "إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً"، والمساواة أهم ثمرات العدل وإذا أحس المراجع بالمساواة والعدل وعدم الظلم قلن يتوانى في قضاء حوائجه أما إذا شعر المواطن أن هناك نوع من الظلم وعدم المساواة فإنه ومع الأسف يلجأ إلى الوساطة والشفاعة لنيل حقه وتخليص معاملته مع أنه مستوف للشروط فإذا رفع المسؤولون في البلد شعار العدل والمساواة بين المراجعين يكونون قد قطعوا أشواطاً كبيرة في الحد من مشكلة الوساطة والشفاعة حيث يصبح انه لا فائدة مرجوة من الشفاعة ولا داعي لاستخدامها واللجوء إليها.

٦- البعد عن الروتين والتعقيد الإداري: يجب على ولاة الأمور تسهيل إجراءات التعامل للمواطنين في قضاء حوائجهم وألا يتقنوا في تعقيد الأمور بكثرة الإجراءات وتعقيدها مما يحدو بالمراجع أن يبحث له عن واسطة وشفاعة لكي يتجاوز كل هذا التعقيد ولكن هذا لا يمنع ولاة الأمور من ضبط الأمور ووضع الشروط اللازمة لقضائها خاصة ما تستدعي الحاجة إلى وجوده وذلك لحسن سير العمل وللقضاء على طرق الاحتيال والقفز على القوانين وعدم احترامها، ولكن كما قلت أن يضيعوا أهم الشروط الواجب توافرها والاقتصار عليها واستبعاد كل إجراء لا داعي له مما يزيد الكلفة على الدولة ويزيد الغناء على المراجعين.

٧- التجرد من التعصب: وذلك بأن يتعصب الموظف لأبناء قبيلته وطائفته أو حزبه فيقوم بقضاء حوائجهم خير قيام أو إذا كان من أصدقائه أو

أصدقاء من يتوسط له عنده، وأما من لم يكن من قبيلته أو طائفته أو حزبه فلا يكلف نفسه عناء قضاء حاجته مع أنه واجب عليه القيام بهذا الأمر إذا لابد منه التجرد داعي التعصب والقيام على خدمة الناس دون النظر إلى قبيلة أو حزب أو طائفة، فبذلك قد يحرم صاحب الحق من حقه إما تبعاً لهواه أو محاجة لقريبه أو صديقه، وإن ما يترتب على هذا الفعل أن الناس اليوم صاروا في قلق من فقد الأمانة، وأن الحقوق لتهدد بسبب ذلك، وهذا مما يفسد اهتمام الشريعة الإسلامية بالأمانة في العالمين، وبخاصة في ولاية أمور المسلمين.

٨ - مكافأة الموظفين المخلصين: جبل الناس على حب الثناء فإذا أحس الموظف بأن المسؤولين يقدرونه ويكافئونه على عمله فسوف يبذل قصارى جهده في العمل وقد يبذل من الجهد ما هو فوق طاقته.

وللإشادة بذوي الكفاءات وإظهار محاسنهم أساليب متعددة نذكر منها ما يلي:

الأسلوب الأول: ذكر الصفات التي يكون صاحبها كفواً للعمل بدون ذكر الأسماء، ومعنى ذلك أن أي امرئ تحققت فيه تلك الصفات كان أهلاً لإسناد العمل إليه و كفواً له.

الأسلوب الثاني: النص على شخص باسمه وصفته والثناء عليه ابتداءً أو الأمر من قريب.

الأسلوب الثالث: أن يقدم شخصاً على غيره في عمل جليل كان من اختصاصه في حياته.

الأسلوب الرابع: أن يجيب على سؤال عن ذي الكفاءة.

الأسلوب الخامس: أن يكثر ولي الأمر من تقريب الشخص منه في مجلسه، وعند دخوله وخروجه واستشارته، ونحو ذلك.

الأسلوب السادس: مفاضلة ولي الأمر بين أصحابه في التخصصات، وإن كانت تلك المفاضلة لا تدل على أفضلية الشخص المطلقة عن غيره في كل شيء بل مفاضلة مقيدة بالتخصصات الفطرية أو المكتسبة، ليستفيد الناس من تلك التخصصات.

الأسلوب السابع: أن يقدر ولي الأمر من يثنى على الكفاء ويقدمه في الإكرام والتقدير.

- إن الإشادة بالكفاء وإرشاد الأمة إلى احترامهم و تكريمهم ووضعهم في مواضعهم وعدم هضم حقوقهم، والاستفادة من طاقاتهم واختصاصاتهم، ذلك ما جعل أهل القرون المفضلة من سلف هذه الأمة ينالون العز والمجد والقيادة في العالم في كل مجال من مجالات الحياة، علماً وعملاً ودعوة، وجهاداً وسعادة في الدارين، لأن الكفاء يأمن على أدائه واجبه، وعدم تجميد طاقاته التي منحها الله لعمارة الأرض ونفع العباد، ولأن الأمة تأمن على من يقودها من الأكفاء الذين يحققون لها مرادها من: حمايتها من الظلم، والاعتداء، وهضم الحقوق، ومن إيصال الحقوق إلى أهلها كاملة غير منقوصة، وغير ذلك مما لا تتأله أمة في حل غير الكفاء محل الكفاء فيها.

٩- تشريع عقوبات تعزيرية: وهذه العقوبات تكون متفاوتة حسب نوع الفعل الخاطئ الذي ارتكبه الموظف، ومثال على العقوبات: إما بالتوبيخ أو التجميد أو لفت النظر أو فتح التحقيق أو سحب صلاحياته أو حرمانه من المكافآت أو نقله إلى قسم آخر أو فصل تأديبي أو نهائي، وتختلف العقوبات بحسب كل قانون خاص بالدولة.

• الخاتمة •

- وفيهما أهم ما توصلت إليه من نتائج من هذا البحث، وهي كما يلي:
- ١- تعريف الشفاعة لغة: هو أن يطلب صاحب الحاجة من شخص أن ينضم إليه ويعينه على قضائها عند الشافع.
 - ٢- تعريف الشفاعة اصطلاحاً: التوسط في منفعة دنيوية أو أخروية وكذلك الخلاص من المضرة.
 - ٣- إن الشفاعة المحرمة تشبه الرشوة والمصانعة والسحت من وجه وتختلف عنها من وجه آخر.
 - ٤- أن الشفاعة نوعين: إلى الله وإلى الناس باعتبار من تطلب إليه، ومن حيث الحل والحرم، إلى شفاعة حسنة وسيئة، ومن حيث المكان: إلى شفاعة دنيوية وأخروية.
 - ٥- أن الشريعة تحث على الشفاعة وتستحبها في أغلب الأحوال كما جاء في الكتاب والسنة والآثار.
 - ٦- أن الشريعة حرمت أنواعاً من الشفاعة كالشفاعة في الحدود إذا بلغت الإمام، وكالواسطة في نظير رشوة أو سعي في إثم بفعل محرم، أو ترك واجب أو كتقديم من لا يستحق وتأخير من يستحق.
 - ٧- أن الشريعة أجازت أنواعاً من الشفاعة، كالشفاعة في الحدود إذا لم تبلغ الإمام وكان صاحبها من أهل المروءة، وكالشفاعة في التعازير بلغت الإمام أم لم تبلغه، وكالشفاعة في الدماء كجرائم القصاص في النفس وما دون النفس، وكالشفاعة في حل الخصومات المالية في الديون وغيرها.
 - ٨- أن الهدية على الشفاعة محرمة وإن اضطر لدفعها صاحب الحاجة إن

كانت للوصول إلى حقه أو لرفع الظلم عنه فإن الإثم على الآخذ لا على الباذل.

- ٩- أن الشفاعة لتولي المناصب لمن كانت فيه الأهلية والكفاءة جائزة.
- ١٠- أن للشفاعة آداباً شرعية منها ما يتعلق بالشافع، ومنها ما يتعلق بالمشفوع له، ومنها ما يتعلق بالمشفوع عنده.
- ١١- للشفاعة الحسنة مجالات كثيرة بقدر أبواب الخير، كما أن لها ثمرات يجد لها الفرد سعادة عظيمة في دنياه وأخراه.
- ١٢- أن حل مشكلة الشفاعة المحرمة يحتاج إلى تضافر الجهود من قبل أولي الأمر والأفراد ولا بد من تعاون الاثنين للحد من هذه المشكلة، والله الموفق إذا أخلصنا النيات وأحسننا في أعمالنا.

• المراجع:

- ١- لسان العرب: محمد ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر بيروت الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- ٢- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسين الزبيدي (دراسة وتحقيق علي شيري)، دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
- ٣- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (تحقيق وضبط عبد السلام هارون) دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ).
- ٤- المفردات القرآن في غريب القرآن: الحسيني بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني)، دار المعرفة بيروت (بدون تاريخ طبع)
- ٥- التعريفات: الشريف بن علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣.

- ٦- الكليات: أيوب بن موسى الكفوي (قابله وأعدّه للطبع ووضع فهرسه
د.عدنان درويش ومحمد المصري)، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة
الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٧- النهاية: لابن الأثير، دار الفكر بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٨- كشف اصطلاحات الفنون: محمد أعلى بن علي التهواني، دار صادر
بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٩- قواعد الفقه: للبركتي، دار الصدف كراتشي باكستان ١٤٠٧هـ -
١٩٨٦م.
- ١٠- التوقيف محمد عبد الرؤوف المناوي (تحقيق د. محمد رضوان الداية)
دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠
هـ - ١٩٩٠م.
- ١١- القاموس الفقهي: سعدي أبو جيب، دار الفكر دمشق الطبعة الثانية،
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- ١٢- معجم لغة الفقهاء: أ. د. محمد رواس قلعجي، و د. حامد صادق قنبي
دار النفائس، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- ١٣- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار
المعرفة، بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.
- ١٤- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي
(تصحیح أحمد عبد العليم البردوني) ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢م.
- ١٥- الفتوحات الإلهية: سليمان بن عمر الشافعي، الشهير بالجمال المكتبة
التجارية عن دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

- ١٦- أحكام القرآن: لابن العربي (تحقيق علي محمد البجاوي) دار المعرفة بيروت، (بدون تاريخ طبع).
- ١٧- شرح السنة: للبغوي، تحقيق: شبيب الأرناؤوط و زهير الشاويش المكتب الإسلامي بيروت - دمشق الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ١٨- صحيح البخاري.
- ١٩ صحيح مسلم.
- ٢٠- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد)، مكتبة الرياض الحديثة (بدون تاريخ طبع).
- ٢١- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف)، دار الفكر بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢٢- سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي (بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي)، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٢٣- المسند: الإمام أحمد بن حنبل (راجعه وضبطه وعلق عليه ووضع فهرسه صدقي محمد العطار)، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٢٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٥- المصنف: عبد الرزاق الصنعاني (تحقيق وتخريج وتعليق حبيب الرحمن الأعظمي)، من منشورات المجلس العلمي، بيروت، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.

- ٢٦- المصنف في الأحاديث والآثار: بن أبي شيبه (ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام) ، دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، بن حجر العسقلاني، (أشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة الشيخ عبدالعزيز بن باز)، دار المعرفة بيروت، (بدون تاريخ طبع).
- ٢٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود محمد أبادي: دار العلمية بيروت، (بدون تاريخ طبع).
- ٢٩- عارض الأحوذى المباركفوري: دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ طبع).
- ٣٠- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: المباركفوري (ضبط وتوثيق صدقي العطار) دار الفكر، بيروت.
- ٣١- تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك: الإمام جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، (بدون تاريخ طبع).
- ٣٢- المغنى والشرح الكبير: ابن قدامة المقدسي (بعناية جماعة من العلماء) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٣- المحلى بالآثار: لابن حزم (تحقيق أحمد شاكر)، دار التراث القاهرة (بدون تاريخ طبع).
- ٣٤- الموسوعة الفقهية: إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت.
- ٣٥- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية (جمع وترتيب عبدالرحمن العاصمي)، دار عالم الكتب الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- ٣٦- الآداب الشرعية محمد بن مفلح الحنبلي دار أحد .
- ٣٧- إحياء علوم الدين
- ٣٨- الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية: د. عبدالله بن أحمد قادري، دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة، السعودية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.
- ٣٩- سبل السلام: محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار إحياء التراث العربي الطبعة الرابعة، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م.
- ٤٠- نيل الأوطار شرح منتدَى الأخبار محمد بن علي الشوكاني (تحقيق طه عبد الرؤوف ومصطفى الهواري) مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- ٤١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري (تقديم خليل الميس تحقيق صدقي العطار)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤ هـ - ١٩٩٤ م
- ٤٢- دليل الفالحين: محمد بن علان الشافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون تاريخ طبع).
- ٤٣- زاد المسلم: محمد حبيب الشنقيطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ طبع).
- ٤٤- اشفعوا تؤجروا: نايف بن ممدوح آل سعود (راجعته الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ)، مطابع الحميضى، الطبعة الأولى.

